د. صلاح الدين إبراهيم حماد *

Abstract

This study attempts to surrey the future job of Palestinian Education and Society in the light of the facts imposed on our people's everyday life. No doubt this awareness will show the important role which the National Education is going to play to protect the nation from sudden international tricks in field of economy and the political arrangements. This is considered as the first line of defense in the battle against underdevelopment and external challenge.

الملخص

هذه الدراسة تحاول استقراء الوظيفة المستقبلية لتربية الفلسطينية وللمجتمع الفلسطيني على ضوء الحقائق ، التي تفرض نفسها على الواقع الحياتي لشعبنا ، وليس من ريب في أن يتشعب من هذا الوعي وعي آخر لمركزية الدور الذي يجب أن تلعبه التربية الوطنية على صعيدها العام والخاص؛ لتوفير حصانات للأمة ضد مفاجئات اللعبة الدولية في ميدان الاقتصاد والترتيبات السياسية ، لأنها تعتبر في الواقع خط الدفاع الأول في المعركة ضد التخلف العام وضد التحديات الخارجية.

---

* أستاذ فلسفة التربية المساعد ، بكلية التربية الحكومية بغزة .

المقدمة

من خلال استقراء الأحداث للواقع الحياتي وتوقعات المستقبل وما أفرزته نتائج محادثات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين ،ومن منطلق الواجب الملقى على عاتق المثقفين والمتخصصين في أوساط شعبنا ، ومن خلال موقع الباحث كمتخصص في شؤون التربية حاول طرح تصور لدور التربية الوطنية ومهامها ،وما يمكن أن تحدثه من تطور في المجتمع الفلسطيني المعاصر في ظل السلطة الوطنية الفلسطينية ،هذه الدراسة تحاول استقراء الوظيفة المستقبلية للتربية الفلسطينية والمجتمع الفلسطيني على ضوء الحقائق التي تفرض نفسها على الواقع الحياتي لشعبنا .وليس من ريب في أن يتشعب من هذا الوعي وعي آخر لمركزية الدور الذي يجب أن تلعبه التربية الوطنية على صعيدها العام والخاص ،لتوفير حصانات للأمة ضد مفاجآت اللعبة الدولية في ميدان الاقتصاد والترتيبات السياسية ،لأنها تعتبر في الواقع خط الدفاع الأول في المعركة ضد التخلف العام وضد التحديات الخارجية ،فالتربية قوة إيجابية تلجأ إليها الشعوب منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر للتغلب على الأزمات والمحن والنكسات والهزائم ولمواجهة التحديات الأجنبية ،فضلاً عن كونها السبيل للقضاء على التخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعسكري ،وتتطلب المعركة موارد بشرية ومادية لمواجهة التحديات وتحقيق النصر. والموارد البشرية هي التي تعنينا في هذا البحث ،وإذا أردنا إعداد الموارد الإنسانية للتحدي القادم فيجب تطويرها وتنميتها بواسطة التربية والتعليم الهادف ،لأن الإنسان هو العنصر الأساسي في كل معركة ،فيجب أن نعترف أن هذه المهمة ليست شيئاً سهلاً ،وهي تتطلب كثيراً من الشجاعة والتجرد ،لكي تتحول من المأمول إلى الممكن ومن الإمكان إلى الممارسة .

● **مشكلة البحث :**

لم تكن عملية التحدي لقضايا التربيـة الفلسطينية سهلة أبدا في ظل تنامي المجتمع الفلسطيني بعودة أعداد كبيرة مـن فلسطينيي الشتات مرافقة لقيام السلطة الفلسطينية طبقا لاتفاقية المبادئ المبرمة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل .

فإن التربية في فلسطين يجب أن تكون قوة تطويرية وأداة تغيير للمجتمع الفلسطيني لتهيئته لقبول العصر . فلابد لهذه التربيـة أن تختار أهدافها ومحتوياتها ومناهجها اختيارا عصريا ؛ لأن التربية الهادفة تستطيع أن تحدث تحولات عميقة في المجتمع من خلال التعاون مع مؤسسات التربية والتعليم والمؤسسات الاجتماعية الأخرى.

من هذه المنطلقات العامة يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلات التالية :

١. ما دواعي الاهتمام بالتربية الوطنية الفلسطينية ؟

٢. ما أبرز مرتكزاتها ؟

٣. ما احتمالات التغير الاجتماعي الذي يمكن أن تحدثه التربية الوطنيـة في المجتمع الفلسطيني ؟

٤. ما المبادئ التربوية التي يمكن أن تنبثق عن مرتكزات التربية الوطنية الفلسطينية ؟

● **أهداف البحث :**

١- تهدف الدراسة إلى وضع تصور لدور التربية الوطنية وما يمكن أن تحدثه من تطور في المجتمع الفلسطيني المعاصر.

٢- تحاول الدراسة استقراء الوظيفة المستقبلية للتربيـة الوطنيـة في فلسطين على ضوء المتغيرات.

٣- تعبر الدراسة عن الدور الريادي الذي تلعبه التربيـة الوطنيـة إذا أحسـن تعبئتـها في تجسيد الهوية والكيان والشخصية الفلسطينية.

٤- وضع لبنة لرسم السياسة التربوية الوطنية الطموحة .

- **أهمية البحث :**

١- تنبثق أهمية الدراسة من مركزية الدور الذي تلعبه التربية الوطنيـة علـى صعيديـها العام والخاص ؛ لتوفير حصانات للشعب الفلسطيني ضد مفاجئات " اللعبة العالمية والنظام الدولي الجديد .

٢- التطلـع إلى ممارسـات تربويـة واقعيـة تسـتهدف في المـدى البعيـد تربيـة إنسـان فلسطيني منتج متيقظ لمسؤوليات الاستقلال الوطني والسيادة القومية ، ومهيأ لتحمل المعاناة في سبيل حياة كريمة .

٣- قد تكون عاملاً مساعداً في اتخاذ القرارات والتوصيات التي من شأنها وقف عملية الترقيع القائمة في الأوساط التربوية العليا .

- **منهج الدراسة :**

استخدم الباحث في الدراسة المنهج الوصفي باعتبار أنه يناسب دراسـة المفـاهيم أو التصور لدور التربية الوطنية ومهامها ، واحتمالات التغير الاجتماعي الذي يمكـن أن تحدثه في المجتمع الفلسطيني ، حيث تناولت الدراسة الواقع التربوي الفلسطيني بالنقد والتحليل الذي يقوم على التسلسل المنطقي للأفكار لتستقرئ ذلك التصور المذكور .

- **منطلقات البحث :**

١. في ظل النظام العالمي الجديد والمتغيرات المتلاحقة التي يمر بها الفلسطينيون تصبـح الحاجة ملحة إلى تربية وطنية فلسطينية مستقلة .

٢. أي إصلاح للتعليم الفلسطيني بعيداً عن فلسفة تربوية وطنية واضحة يعد عملاً غير مثمر .

- **الدراسات السابقة :**

لم تحظ قضية التربية الوطنية في فلسطين باهتمام يذكر طيلة السنوات الماضية رغم أهميتها ، وقد تشجع الباحث وأقدم على تناول هذه الدراسة آملاً أن يشارك في وضع لبنة تربوية من أجل المساهمة في البناء والتطوير الذي يمكن أن يحدثه هذا النوع من الدراسات في مجتمعنا الفلسطيني .

بالبحث عن دراسات سابقة وجد الباحث بعض الدرسات التي تتحدث عن هذا المحور من جوانب مختلفة استفاد منها الباحث في دراسته الحالية ويمكن إجمال أبرز هذه الدراسات على النحو التالي :

١. الياس زين (١٩٧٦م) بعنوان " التربية والمعركة "

تهدف الدراسة إلى إبراز دور التربية باعتبارها خط الدفاع الأول ضد التخلف العام وضد التحديات الخارجية .

فالتربية قوة إيجابية تلجأ إليها الشعوب للتغلب على الأزمات والكوارث والمحن النكسات والهزائم ، فضلاً عن كونها السبيل للقضاء على التخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعسكري .[1]

٢. دراسة فتحية نصرو ، (١٩٩١م)

وهي عبارة عن ورقة عمل بعنوان ملامح أولية لفلسفة التربية في ضوء وثيقة الاستقلال لدولة فلسطين المعلنة في الجزائر ١٩٨٨/١١/٥م (مؤتمر بيت لحم).

هدفت الدراسة إلى وضع تصور عام لفلسفة التربية الفلسطينية تتماثل مع الإطار العامة لدولة فلسطين ، استخدمت فيه الباحثة منهج تحليل النظم في تفريغ محتوى

---

(١) زين إلياس ـ التربية والمعركة ـ شؤون فلسطينية عدد ٥٥ ، مارس ١٩٩٦م .

النص ومعالجته ، كما تعرضت الباحثة لبعض المفاهيم العامة للتربية الفلسطينية والوطنية (المتعلم ، الزمن ، التعددية) ، كما أشارت إلى بعض الأهداف التربوية الفلسطينية وطبيعة النظام التربوي والتزامات التربية الفلسطينية نحو المجتمعين العربي والدولي .[٢]

توصلت الدراسة إلى ما يلي :

ـ التربية الفلسطينية تربية وطنية تهدف إلى إعداد المواطن الفلسطيني إعدادا يمكنه من الاحتفاظ بهويته العربية الفلسطينية .

ـ تقوم التربية الفلسطينية على نظام تربوي يؤكد على الممارسات الديمقراطية .

ـ أوصت الدراسة بضرورة اجتهاد المفكرين التربويين من أجل اشتقاق ملامح التربية الفلسطينية من خلال ملامح دولة فلسطين المستقلة .

٣. أبو دف محمود (١٩٩٧م) بعنوان " نحو فلسفة تربوية فلسطينية في ضوء الواقع والتحديات "

تهدف الدراسة إلى إبراز حاجة التعليم الفلسطيني إلى فلسفة تربوية مستقلة ،في ضوئها تتحدد سياسات التعليم ، ومن خلالها تتجسد هوية الفرد والمجتمع ، كما تنشد تقديم تصور مقترح يمكن أن يكون إطارا عاما لبناء فلسفة تربوية فلسطينية .

وقد تم التوصل إلى النتائج التالية :

ـ لقد توافرت العديد من الدوافع التي تؤكد حاجة التعليم الفلسطيني إلى فلسفة تربوية وطنية تجسد هويته الثقافية .

---

(٢) نصرو فتحية : ملامح أولية لفلسفة التربية الفلسطينية في ضوء نصوص وثيقة الاستقلال لدولة فلسطين المعلنة في الجزائر ١٥/١١/١٩٨٨م ، وقائع المؤتمر الأول للتعليم الفلسطيني ، جامعة بيت لحم ، تشرين الأول ١٩٩١م .

ـ ما لم تعكس فلسفة التربية الفلسطينية طبيعة الصراع مع اليهود فستظل جسداً بلا روح وعملاً بلا هدف يستحق أن نضحي في سبيله [٣].

٤. النمر كمال (١٩٩٣م) : بعنوان مأساة التربية في فلسطين

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الأضواء على التربيـة في فلسطين إبان الانتداب البريطاني عليها ، وأخيراً رزحها تحت الكابوس الصهيوني ، مع التركيز على فترة الاحتلال الصهيوني التي تواجه فيه التربية في فلسطين مرحلة حرجة لم يسبق لها مثيل من التجهيل والتشويه للتربية والتعليم الفلسطيني من قبل المغتصب في هذا الميدان الحيوي الهام ، ألا وهو ميدان التربية [٤] .

٥ . سعد سعيد نبهان " مايو ١٩٩٦م" بعنوان " نحو نظرية تربوية لبناء منهج فلسطيني "

ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الثاني للدراسات الفلسطينية ، تهدف هذه الدراسة إلى عمل تغيير شامل لمكونات المنهاج القائم بحيث يتفق وينسجم مع تطلعات المجتمع الفلسطيني وطبيعته وخصوصيته حتى لا يجد نفسه يرتوي من منبع ليس منبعه ويرتدي رداءً ليس من تراثه ويرفع راية ليست رايته ويتعلم منهجاً لم يتعمق مع ميول كل فرد أو تلميذ فيه واتجاهاته وحاجاته وأهدافه ، وبحسب رؤيته وتبصره .

ومن هنا نوه الباحث إلى التوازن بين خصائص المتعلم الفلسطيني والمعرفة المقدمة إليه وطبيعتها ومصدرها وخصائص المجتمع الفلسطيني ككل ، بحيث تكون النظرية التربوية المشار إليها إطاراً معرفياً قوياً لدى القائمين على بناء المنهج الفلسطيني العتيد[٥].

---

(٣) د. محمود أبو دف : نحو فلسفة تربوية فلسطينية ـ ورقة مقدمة للمؤتمر التربوي الأول بكلية التربية الحكومية بغزة ٢٥-١٩٩٧/١/٢٦م .

(٤) كمال النمر : مأساة التربية في فلسطين ـ المجتمع للنشر - ١٩٩٣م .

(٥) سعد نبهان : نحو نظرة تربوية لبناء منهج فلسطيني ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الثاني للدراسات الفلسطينية مايو ١٩٩٦م .

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة يتضح ما يلي :

١. اتفاق الدراسات جميعاً مع دراسة الباحث حول ضرورة بناء فلسفة تربوية وطنية ينطلق من خلالها النظام التعليمي في المجتمع الفلسطيني .

٢. عبرت الدراسات السابقة عن اتجاهات فكرية متباينة ، فدراسة إلياس زين أبرزت دور التربية في المعركة باعتبارها خط الدفاع الأول تجسيداً للفكر القومي العربي . أما دراسة نصرو (١٩٩١م) فقد ركزت على البعد الوطني كما اعتمدت على مصدر واحد، هو وثيقة الاستقلال ؛ لاستنباط ملامح أولية لفلسفة التربية الفلسطينية .

٣. أما دراسة أبو دف (١٩٩٧م) فقد ركزت على البعد الوطني مع ضرورة التأكيد على ثلاثة أبعاد [الفلسطيني ، العربي ـ الإسلامي] .

٤. اعتمدت دراسة الدكتور كمال نمر (١٩٩٣م) ونبهان (١٩٩٦م) في تركيزها على الخصوصيات التربوية في فلسطين من خلال الواقع التربوي الفلسطيني بكل أبعاده مع الكشف عن مخاطر التبعية التربوية للغير في هذا الميدان الحيوي من ميادين التربية في فلسطين . في حين انطلق الباحث في دراسته من خلال الواقع الفلسطيني بكل أبعاده مقترحاً مرتكزات عديدة لتربية وطنية فلسطينية .

٥. لهذا تميزت دراسة الباحث عن الدراسات السابقة في تركيزها على تربية وطنية فلسطينية محاولاً تحديد إطار عام لمرتكزات فلسفة هذه التربية التي تحتاج إلى عمل فريق من الخبراء التربويين .

البعد المكاني والزماني للدراسة

تقع فلسطين على الساحل الغربي لبلاد الشام والساحل الشرقي للبحر المتوسط بين خطي طول (٣٤،١٥) و(٣٤،٤٠) وبين دائرتي عرض(٢٩،٣٠) و(١٥-٣٣)شمالاً [٦].

---

(٦) د/ نعيم بارود ـ جغرافية فلسطين ـ الجامعة الإسلامية ـ غزة ١٩٩٨م ، ص٣ .

وهي بذلك تمثل جسداً قوياً يربط بين آسيا وأفريقيا وبين البحر الأحمر والبحر المتوسط، وهذا يعني الوصل بين المحيطين الهندي والأطلسي ؛ ولذلك كان لهذا الموقع أهميته التجارية والاستراتيجية المتزايدة على مر العصور حتى الوقت الحاضر ، ويعتبر الموقع الجغرافي لفلسطين ذا بعد استراتيجي ،والذي جعل العالم بأسره ينظر إليها على أنها قلب العالم .

تبلغ مساحتها ٢٧٠٠٩كم٢ احتل منها الصهاينة عام ١٩٤٨م ، حوالي (٢٠٧٠٠) أو ما نسبته ٧٧٪ ، وبقي في أيدي العرب أهل فلسطين ما نسبته ٢٣٪ من مجموع مساحة فلسطين إبان الانتداب البريطاني ٢٠٪ منها في الضفة الغربية ٣٪ في قطاع غزة ، ومنذ عدوان ١٩٦٧م خضعت هاتان المنطقتان مع الأرض المحتلة ١٩٤٨م للاحتلال الإسرائيلي ، ولا يزال جهاد الشعب الفلسطيني مستمراً من أجل تحرير الأرض وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة عليها مع العلم أن مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة تقدر بحوالي نصف مساحة دولة فلسطين العربية التي امتزجت في مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م[٧] .

السكان والتربية

إذا كان الوطن هو البوتقة التي انصهرت بداخلها فلسفة التربية الوطنية الفلسطينية فالإنسان هو الأداة المتحركة بها ، ومن هنا كان اهتمامنا السالف بوطن الدراسة واهتمامنا اللاحق بإنسانها الذي عرف النظم التربوية ومدى أهميتها ؛ لوجوده والحفاظ على هويته الثقافية والوطنية منذ زمن بعيد .

فقد كان الفلسطينيون خلال حكم الإمبراطورية العثمانية للبلاد العربية يمارسون طرازاً من الحرية والديمقراطية في إدارة شئونهم التعليمية وفي الاتفاق عليها .

---

(٧) الموسوعة الفلسطينية ـ القسم الأول (٤ مجلدات ،مركز الدراسات الفلسطينية ،دمشق ١٩٨٤م).

وعندما قدم البريطانيون وجدوا شعبا له مدارسه وعلمه وثقافته وماضيه المجيد، ولولا ذلك لما استطاع البريطانيون أن يتحججوا بأنهم نظموا إدارة التعليم العام للفلسطينيين ، واهتموا بالكم والنوع على حد سواء ، ولو أن البريطانيين بدأوا من الصفر لما استطاعوا أن يتباهوا بأن التعليم لدى عرب فلسطين كان من أفضل نظم التعليم المعروفة في المنطقة ، وأنه يعتبر من حيث أهميته وجدواه بعد التعليم اللبناني[٨] .

ولم يقف الأمر عند هذه الغاية في ضوء الاعتبارات والأهداف ، فقد تحمل الشعب الفلسطيني عبءا كبيرا في إنشاء المدارس الأهلية الوطنية ؛لتفريغ أهداف الانتداب في المجال التربوي من محتواها وللعمل على صقل شخصية الطفل العربي الفلسطيني وتوجيهه إلى المسار الوطني الصحيح[٩] ؛ من أجل الحفاظ على خطوط المسار الوطني الصحيح والحفاظ على خطوط التواصل مع بقية أجزاء الوطن العربي ؛ لذلك فإن للشعب الفلسطيني فلسفة تربوية غير معلنة ومغايرة لما خططته حكومة الانتداب لتحقيق الأهداف التالية :

١. " فتح المجال لأكبر عدد من الأطفال العرب الفلسطينيين للالتحاق بالتعليم ، إذ كانت إدارة الانتداب لا تقبل أكثر من ٦٠٪ من الأطفال الذين يحق لهم الالتحاق بالتعليم .
٢. تيسير الالتحاق بالمرحلة الثانوية إذ اعتمدت إدارة الانتداب نهجا اختياريا للطلبة الذي يلتحقون بالمرحلة الثانوية بحيث لا يصل إلا طالبان أو ثلاثة من كل مدرسة فيها صفان ثانويان بعد المرحلة الابتدائية ، وهذه المدارس قليلة .
٣. تأهيل الطلبة لفحص الثانوية الفلسطينية إضافة إلى فحص جامعة لندن .

---

(٨) عبد القادر يوسف / تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا دائرة التربية والتعليم العالي ، منظمة التحرير الفلسطينية ، دار الجليل للنشر ، عمان ١٩٨٩م .

(٩) د/منذر صلاح ،مقومات البنية التعليمية لدولة فلسطين ، شؤون عربية ، كانون الأول ديسمبر ١٩٨٩م ، ص٣٨ .

٤. تنمية الوعي الوطني لدى الطلبة مقابل الهجمة اليهودية الاستيطانية ، إذ كانت حكومة الانتداب تحابي اليهود وتقدم لهم التسهيلات وخاصة في مجال التربية والتعليم تمهيدا للوفاء بعهودها السياسية[١٠] مع وحدة الضفتين في ١٩٥٠/٤/٢٤م ، فقد وضعت خطوط عريضة لفلسفة تربوية للمملكة الأردنية الهاشمية غير معلنة وتم تطبيقها بصورة غير مجزية كما يجب ، وفي عام ١٩٦٤م ظهرت فلسفة التربية والتعليم في الأردن وأهدافه وحاجاته القائمة والمنتظرة في ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة . وتنص الأسس والمرتكزات التي تقوم عليها هذه الفلسفة التربوية على الإيمان بالمثل العليا ووحدة الأمة العربية ، وعلى الاهتمام بالمجتمع الأردني بجميع متغيراته الحضارية وبعملية تطويره من مرحلته الحضارية الحالية إلى مرحلة حضارية أكثر تقدما بنواحي النمو المختلفة للفرد من جسمية وعقلية واجتماعية وعاطفية في مجتمع يتمتع بالحرية والديمقراطية[١١] .

من هنا نلاحظ بأن قانون التربية والتعليم لسنة ١٩٦٤م الخاص بالمجتمع الأردني قد طبق على سكان فلسطين من أبناء الضفة الغربية بكل محتوياته من انتماء وقيم وتربية ، دون أن يكون هناك فلسفة تربوية خاصة لسكان منطقة البحث من أبناء الضفة الغربية أو قطاع غزة الذي لم يكن فيه الوضع التربوي يختلف كثيرا عن الضفة الغربية ،فمنذ عام ١٩٥٠م وحتى ١٩٦٧م وضع قطاع غزة تحت إشراف الإدارة المصرية، وتم تطبيق المناهج الدراسية المصرية بدون أن تكون هناك فلسفة تربوية خاصة لسكان غزة من أبناء فلسطين ، وقد اكتفى المعنيون بتوفير المدارس والمعلمين والمناهج من خلال الإدارة المصرية ووكالة غوث اللاجئين .

---

(١٠) المرجع السابق ، ص٣٨ .

(١١) وزارة التربية والتعليم الأردنية ، قانون التربية والتعليم رقم ١٠ لسنة ١٩٦٤م .

وبعد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م بدأ تدخل الاحتلال الإسرائيلي في تطبيق الإجراءات التعسفية التي تهدف إلى طمس الحرية الثقافية والوطنية والتربوية للشعب الفلسطيني التي يمكن حصرها بالآتي :

ـ الاستمرار في فرض سياسة التجهيل التي تمارسه ضد سكان فلسطين ومنعه من تطوير نفسه .

ـ فرض العقاب الجماعي ضد السكان الفلسطينيين وإرغامهم على الانصياع لتعليمات السلطات الإسرائيلية من خلال الإغلاق للمناطق الفلسطينية .

ـ والاعتقالات الجماعية ووضع حواجز على الطرق وتقييد حركة السكان الفلسطينيين بين مدن فلسطين وقراها، كل هذا شأنه أن يعيق سير الحركة التربوية والتعليمية ويمنع من تطويرها بالشكل المناسب .

وقد أشار إلى ذلك رئيس الأركان السابق في الجيش الإسرائيلي " تسفي تسور " بقوله (قبل عشر سنوات من الاحتلال كنا قلقين من عدد الطلبة الكبير في جامعات الدول العربية ، لذلك فإن نوعية المناهج والأساليب التي استخدمت مع الشعب الفلسطيني هي أفضل طريقة لخلق أجيال لا يهمها أمر فلسطين "[١٢] وقد عبر عن هذا أحد المربين الفلسطينيين الذي لم يغادر بلاده وظل يشاهد عن كثب سياسة التجهيل اليهودية ضد الفلسطينيين فيقول في وصف تلك السياسة :

إن إهمال الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة للتعليم بين سكان فلسطين يعزى إلى خطة مدبرة تستهدف تحويل القسم الأعظم من الطلبة إلى جماعة من الجهلة وأشباه الجهلة مع العمل على طمس الوعي بين الفلسطينيين ، وذلك عن طريق تحريف المفاهيم والقيم الحضارية العربية والتاريخ العربي والمسميات العربية للأماكن المختلفة في فلسطين

---

(١٢) صالح عبد الله سرية – تعليم العرب في إسرائيل – منظمة التحرير الفلسطينية ،مركز الأبحاث، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص٣ .

وطمسها ، وإلى جعلهم في ريب من أنفسهم وأمتهم وإلى إيجاد حالة من البلبلة في أفكارهم أمام المجتمع اليهودي[١٣] . ولكن الشعب الفلسطيني بوعيه الكامل أفسد على الاحتلال الإسرائيلي تحقيق أهدافه من خلال الجامعات الفلسطينية التي رفضت تطبيق ذلك مع احتفاظ كل جامعة في فلسطين بأهدافها الخاصة النابعة من نظرتها المستقبلية للهيئة المشرفة على الجامعة[١٤] ، وقد ثبت هذا في الوثائق الجامعية على شكل عبارات تنقل إلى المجتمع الفلسطيني توضح فيها أهداف الجامعة وفلسفتها التربوية[١٥] .

هنا تتبادر للذهن تساؤلات عديدة خاصة بالتربية الوطنية أمام الرؤية الضبابية المستقبلية للتربية في فلسطين . ومن أهم هذه التساؤلات التي ستجيب عنها هذه الدراسة : **مبررات الحاجة إلى تربية وطنية فلسطينية وما هي أهم مرتكزاتها ؟**

١. دواعي الحاجة إلى تربية وطنية فلسطينية :

يعتقد الباحث أنه لا غنى لفلسطين لكي تنمو وتتقدم على طريق النصر من تربية وطنية تعطي للأجيال الفلسطينية في كافة أماكن تواجدها ، وسأحاول في هذه الدراسة أن أضع تصورا للتربية الوطنية الفلسطينية ، وهذا التصور يعكس ما يجب أن تكون عليه تلك التربية بغض النظر عن اعتبارات الوصاية العربية الحالية ،وبغض النظر عن العقبات القائمة حاليا في وجه تطبيق أي مقدار من التربية الوطنية الفلسطينية . وهي عقبات تغلف عادة باتهام كل من ينادي بتربية فلسطينية بالنزعة الإقليمية ؛ وإن الهدف من وضع هذا التصور هو دفع المؤسسات التعليمية الفلسطينية على تبنيه أو تبني تصورا مماثلا له حيثما وحينما تستطيع . وتصوري للتربية الوطنية الفلسطينية هو عبارة عن مفاهيم أساسية أجدها لازمة وضرورية لأية تربية فلسطينية وطنية ،وقد يرى البعض

---

(١٣) كمال كامل النمر – مأساة التربية في فلسطين – المجتمع للنشر والتوزيع ،ط١ ،١٩٩٣م،ص٤٣.
(١٤) فؤاد العاجز – الميسر في التربية المقارنة – ط ٢ ، ١٩٩٨م ، ص ٢٠٩ .
(١٥) دليلا الجامعة الإسلامية وكلية التربية الحكومية بغزة لعام ١٩٩٩.

أن هذا التصور ضرب من الخيال ضمن الظروف السياسية والاجتماعية الفلسطينية والعربية الحالية ، قد يكون ذلك صحيحا ، ولكنه يصبح غير صحيح عندما ينظر إلى المستقبل البعيد وإلى الأجيال القادمة متخطين الواقع العربي والفلسطيني السيئ ،إن هذا التصور أساسا هو نظرة تفاؤل وإيمان بالمستقبل ، وأنا لا أرى استحالة تطبيقه مستقبلا ؛ ليقود العمل التربوي ويوجه المسيرة نحو بناء الإنسان الفلسطيني ، من منطلق أن النظام التعليمي هو المسؤول الأول عن هويته الثقافية والوطنية .

لقد توافرت أسباب ومبررات عديدة أكدت على الحاجة الماسة إلى تربية وطنية فلسطينية يمكن إجمالها على النحو التالي :

أولا ـ مبررات تربوية :

وتشمل هذه المبررات ما يلي :

أ. اغتراب النظام التعليمي في فلسطين :

إن الأنظمة التربوية في فلسطين لا تعبر عن أهداف المجتمع الفلسطيني وتطلعاته ، وهي بعيدة كل البعد عن النظام الذي ننشده لبناء الإنسان الفلسطيني السوي فهي نظم متعددة في إقليميتها ، وهي من موروثات الماضي ، ولها أسسها الفلسفية المبرمجة وأهدافها المجندة لخدمة مجتمعاتها وسلطاتها الحاكمة في الدولة المضيفة للشعب الفلسطيني ، وهذه الأنظمة التعليمية هي " المنهاج المصري في قطاع غزة والمنهاج الأردني في الضفة الغربية ، كما عمدت سلطات الاحتلال منذ عام ١٩٦٧م في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى تغيير المعالم الجغرافية والاقتصادية والقوانين والأنظمة بما يتناسب والسياسة الإلحاقية التي أرادتها لطمس هوية الشعب الفلسطيني ، ووصل بها الحال إلى العبث بالمؤسسات التعليمية أولا بتعيين ضباط للتربية والتعليم يرتبطون

بالإدارة العسكرية ، ثم بقيامها بعملية تمشيط للمناهج الأردنية المطبقة في القدس وإحلال مناهج إسرائيلية محلها [١٦].

وبرز التدخل السافر في شؤون المناهج أكثر ما برز في الخرائط الجغرافية وفي كتب اللغة العربية والاجتماعات واستصدار قرارات بطمس اسم فلسطين من الخرائط وحذف عبارات معينة وقصائد شعرية فيها ذكر لفلسطين وكفاح أهلها ، وكانت إدارة الحكم العسكري تصدر بين الحين والآخر قوائم بالكتب المدرسية والثقافية المنوعة ،التي كشفت ومجموعها يربو على أكثر من ألف وخمسمائة كتاب ، وقد تم حذف ما لا يمكن أن ينمي الاتجاهات القومية والوطنية التي فيها ذكر لفلسطين وعدم الإشارة إلى إسرائيل[١٧].

ومن الأساليب التي يتبعها الصهاينة لكافحة التعليم بين الفلسطينيين إغلاق المدارس والجامعات ، والعمل على التقليل من شأن عنصر الشباب ، وممارسة شتى أنواع الضغوط عليهم لتهجيرهم[١٨] .

ومن هنا قد أصاب التعليم الفلسطيني التدهور والتراجع الذي يدل على عمق المأساة التي يتعرض لها المجتمع الفلسطيني في ظل مناهج تعليمية غريبة ؛ تستهدف طمس هويته الحضارية وتخريج جيل من المتعلمين غير ملم بأبعاد قضيته ، مستسلم للأمر الواقع .

هذه العوامل مجتمعة مع غياب الاستقلال التام والظروف الصعبة والمعيشة الضنكة[١٩] . تدعونا إلى إيجاد تربية وطنية في نظامنا التعليمي من أجل المحافظة على البقية الباقية من تراثنا الفلسطيني .

---

(١٦) د. فاروق الفرا وآخرون ـ المنهاج التربوي المعاصر – ط١ ، ١٩٩٥م ، ص٣٠٧ .

(١٧) المرجع السابق ، ص٣٧ .

(١٨) د. كمال النمر ، مأساة التربية في فلسطين ، ص٢٥ .

(١٩) د. إحسان الأغا ، محمود أبو دف / نحو منظومة قيم للتربية الفلسطينية ورقة عمل متقدمة =

ثانياً ـ مبررات ثقافية وحضارية :

في العام ١٩٤٨م نجحت الصهيونية في سلب الجزء الأكبر من الأراضي الفلسطينية ، وأقامت فوقه دولتها ، وقد شهد ذلك العام أكبر عملية إجلاء وإبعاد جماعيين للشعب العربي الفلسطيني عن طريق الإرهاب والتدمير والقتل[٢٠] .

واستهدف هذا المحتل المغتصب الهوية الوطنية الفلسطينية من أجل القضاء على خصائصها الوطنية والحضارية والثقافية ، وتحويل الشعب الفلسطيني إلى شعب لاجئ مستنداً إلى عامل الزمن وإلى المخططات الإمبريالية لتوطينه في مواقع الشتات ، ومسح ذاكرة أجياله الجديدة ، وقطع كل الصلات التي تربط هذه الأجيال بانتمائها إلى الأرض والوطن[٢١] .

وقد أحدث ذلك هزة عنيفة في البنية الحضارية والثقافية ، ومزق شر ممزق ذلك النسيج الثقافي الذي مثل له مكاناً تحت الشمس في ظروف دولية معقدة ، تميل فيها الموازين لصالح الولايات المتحدة والدول الاستعمارية ، وفي ظل ظروف التجزئة والتخلف والهيمنة الاستعمارية في الوطن العربي .

وهكذا تناثر الشعب الفلسطيني في المنافي ومواقع الشتات فيما ألحقت الأجزاء المتبقية بهذا القطر أو ذاك ، ووجدت البقية الباقية في أرض الوطن نفسها وسط جحيم الاحتلال الذي كان يعمل على فرض مناهج تربوية وتعليمية لا تعبر عن خصوصيات الثقافة الفلسطينية .

= المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية ، الجامعة الإسلامية ، ١٩٩٦م ـ ١٩٩٧م .

٢٠ . نعيم خضر /القدرات البشرية والثقافية للشعب الفلسطيني ـ صامد الاقتصادية ـ مجلة شهرية ، العدد٣٠ ، تموز / ١٩٨١م ، ص٧ .

٢١ . يحيى خلف ـ دولة فلسطين ومقاومتها الثقافية ـ شؤون عربية ـكانون الأول ديسمبر ١٩٨٩م ، ص٤٣.

وقد أكد (الفرا ١٩٩٥م) على أن هذه المناهج بعيدة عن الواقع الحياتي والبيئة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الفلسطيني " [٢٢] ، لأن الهدف منها طمس الشخصية الفلسطينية بأبعادها الثقافية والحضارية وعزلها عن محيطها القومي .

ثالثا : مبررات سياسية :

إذا كانت الشعوب القوية والمنكوبة ترنو أنظارها إلى التربية ، لتجد فيها طريقة الخلاص من آثار نكبتها وهزائمها السياسية ؛ لكي تحيل الهزائم إلى انتصارات سياسية .

ومن الشواهد التي يمكن أن يشار إليها في هذا المقام الموقف الذي اتخذه فلاسفة الألمان وقادتهم ومعلموهم عقب هزيمتهم أمام نابليون ، فنادى الفيلسوف الألماني فيجه شعبه بضرورة الالتجاء إلى نوع من التعليم يكون حمى الأمان في محنتهم[٢٣] .

فإن الشعب الفلسطيني ليس بشاذ عن هذه النظرية ، فلقد استطاع الشعب الفلسطيني أن يحقق مستوى رفيعا جدا من التربية والتعليم أفضل بكثير من بقية الشعوب العربية ، ولم يكتف الشعب الفلسطيني بتحقيق قسط وافر من التعليم بل قبل انطلاق الثورة الفلسطينية مرات عديدة طالب بحق أبنائه في تربية وطنية عربية فلسطينية[٢٤] . وبعد انطلاق الثورة الفلسطينية ازداد ضغط الجماهير الفلسطينية من أجل تحقيق تربية وطنية فلسطينية ، ولقد تم ذلك على الصعيد النظري في عام ١٩٧٢م عندما أعد قسم التخطيط التربوي في منظمة التحرير الفلسطينية فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني" [٢٥] ، والغاية القصوى من هذه الفلسفة الوطنية تكوين إنسان فلسطيني

---

(٢٢) الفرا فاروق (آلية مقترحة لتغيير المنهاج الفلسطيني ومحاولة علاج اغترابه) وقائع اليوم الدراسي المنعقد بكلية التربية ـ جامعة الأزهر بغزة ـ يونيو ١٩٩٥م ، ص٣ .

(٢٣) الشيباني ، عمر محمد التومي :مقدمة في الفكر التربوي الحديث ، دار الكتب الوطنية ، طرابلس ، ١٩٩١م، ص٢٨.

(٢٤) شؤون فلسطينية (٢٥) ، أيلول سبتمبر ١٩٧٢م ، ص١٠٢ .

(٢٥) شؤون فلسطينية العدد ٥٥ ، آذار مارس ١٩٧٦م ، ص ١٥٩ .

جديد قادر على النضال الطويل وعلى المساهمة الفعالة في بناء الثروة البشرية ؛ من أجل تحرير البقية الباقية من أرض فلسطين المغتصبة .

والشعب الفلسطيني اليوم يعيش بداية مرحلة جديدة مرحلة بناء الدولة الفلسطينية ، وهذا يتطلب معالجة النظام التعليمي القائم وإصلاحه بصورة شاملة ، مما يتطلب توافر فلسفة تربوية واضحة المعالم محدودة الأبعاد[٢٦] .

ومن خلال العرض السابق يتضح أن التربية الوطنية الفلسطينية أصبحت ضرورة تربوية وثقافية وسياسية ؛ مما جعل العمل التربوي بعيدا عنها أشبه ما يكون بعمل عشوائي لا معنى له ولا هدف .

٢. مصادر التربية الوطنية في النظام التعليمي الفلسطيني :

لابد من التحدث أولا عن مصادر التربية الفلسطينية قبل أن نتحدث عن شكل ومضمون هذه التربية .

من الأمور البديهية أن يكون لكل شعب نظامه التربوي الخاص به ، ولكن هذا الأمر البديهي يشكل مسألة حياة أو موت بالنسبة للشعب الفلسطيني الذي يعيش خارج أرضه ، والذي انقسم إلى مجموعات بشرية كبيرة منعزلة جغرافيا ، ولا يوجد تفاعل مادي يومي بينها .

وبغياب هذا التفاعل ، غاب الواقع الحقيقي للبيئة الفلسطينية عن مناهجنا ؛ ولذلك جاءت هذه المناهج غريبة على طلابنا في كثير من مضامينها ؛ ولذا فقد أصبح من الواجب علينا أن نفكر بجدية في مصادر التربية الوطنية لوضع منهاج فلسطيني وطني مستقل يعبر محتواه عن البيئة الفلسطينية[٢٧] المثلة بالشخصية الفلسطينية المميزة والتراث الفلسطيني ، الذي يؤكد حق الوجود والعودة فلسطينيا ، نافيا مقولة اليهودي

---

٢٦ . د/ أبو دف محمود ،مرجع سابق ، ص٦ .

٢٧ . د/ فاروق الفرا وآخرون ، المنهاج التربوي المعاصر ، ص٣١٥ .

الصهيوني (شوارز) في وصفه للطلاب الفلسطينيين بأنهم الجيل التائه الذي لا يعرف له مستقبلا[٢٨] .

لهذا يجب على السلطة الوطنية الفلسطينية خلق أو تكوين إنسان فلسطيني جديد قادر على التحدي طويل الأمد وعلى المساهمة الفعالة في إنجاح عملية التحرير والبناء[٢٩].

إن خلق الإنسان الفلسطيني الذي يحمل هذه المواصفات لا يأتي ارتجالا وإنما يأتي عبر عملية بناء شاقة وطويلة مصدرها فلسفة تربوية واضحة المعالم ببعدها الإسلامي والعربي والوطني نابعة من التراث والهوية والكيان الفلسطيني .

بهذا تلعب التربية الوطنية فيها دورا أساسيا ، لأن المجتمعات لا تتكون "بالطبيعة" ، وإنما تخضع لعملية تكوين موجهة تتخللها صراعات وتفاعلات عديدة ، تصل بالنهاية إلى شكل ما أو " ترتيب ما " للمجتمع ،لكن هذا الشكل أو الترتيب ما يلبث أن يتغير تدريجيا بفعل القوى الجديدة أو ينهار عليه بفعل التغير الثوري العنيف" [٣٠] وبالتالي إذا أردنا مجتمعا فلسطينيا يتوجه بكليته للتحرير والبناء فلابد من الدخول في صراع كبير مع أنفسنا أولا ، ومع محيطنا الخارجي ثانيا ؛ لبناء مثل هذا المجتمع ، لذلك نرى أن تكوين الإنسان الفلسطيني له توجهات معينة تقع في الدرجة الأولى على عاتق السلطة الوطنية الفلسطينية . إن هاتين المؤسستين تتحملان مسؤولية تقديم تربية وطنية متكاملة للأجيال الفلسطينية ترتبط بواقع الشعب الفلسطيني وأهدافه النبيلة في العودة والحرية وتحقيق المصير .

---

(٢٨) د/ كمال عبد الحميد النمر ، مأساة التربية في فلسطين ، ص٢٩ .

(٢٩) لينا حمادة وآخرين ، تحديات وخيارات المرأة الفلسطينية في الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، الولايات المتحدة الأمريكية ، بدون تاريخ ، ص٦٢ .

(٣٠) د. باسم سرحان :التربية الثورية الفلسطينية ،شؤون فلسطينية :دراسات وأبحاث عدد ٢٥ ، أيلول سبتمبر ١٩٧٣م ،ص١٠٣ .

وبالتالي لا يعقل أن يستمر المجتمع الفلسطيني في اكتساب مهارات التنمية ، ولا يتوجه أي جزء منهم نحو اكتساب مهارات تتطلبها عملية التحرير والبناء . إن مجتمعنا الفلسطيني في الوقت الراهن بحاجة لإنتاج الإنسان القادر على التخطيط والبناء أكثر من حاجاتنا إلى الإنسان القادر على إدارة مصنع أو مصرف أو كلية ؛ لأن معركتنا هي معركة التحدي العلمي والتكنولوجي مع العدو الإسرائيلي.

مرتكزات التربية الوطنية :

بعد أن تحدثنا عن دواعي الحاجة إلى تربية وطنية فلسطينية ومصادرها ، نظرا لعجز النظام التربوي الحالي عن خدمة معركة البناء للشعب الفلسطيني ؛ بسبب مفاهيم التربية المعمول بها وأنواعها وطبيعتها التقليدية ، فالأسئلة التي نطرحها الآن هي ماذا نعني بالتربية الوطنية وما هي أبرز مرتكزاتها .

للإجابة عن هذه الأسئلة وما شابهها يمكننا الرجوع إلى تجارب الأمم التي سبقتنا وخبراتها في هذا الميدان ؛ كي نستفيد منها في وضع مخطط لتربية وطنية فلسطينية جديدة تستطيع أن تفتح الطريق أمام التنمية الاقتصادية والاجتماعية والدفاعية ؛ ولتحقيق ذلك لابد من إحداث تغييرات جذرية في بنية النظام التربوي والتعليمي للحصول على تعليم عصري جدير بمستوى المعركة ، ولسنا أول من يطالب بذلك ، ففي مؤتمر مراكش (١٩٧٠) نادى أحد وزراء التربية العرب "بالثورة التعليمية" وبوجوب إسقاط النظم التعليمية القائمة في البلدان العربية ؛ لترتفع على أنقاضها نظم جديدة ترقى إلى مستوى التحديات التي تواجه الأمة العربية في تحركها نحو المستقبل ؛ لبناء إنسان عربي يستطيع أن يواجه المعركة بالعلم والثقافة والشجاعة [٣١]، وتجدر الإشارة إلى أننا ننطلق من النظرية القائلة بأنه لا يمكن أن نحقق التنمية في مرحلة بناء

---

(٣١) قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط " منظمة التحرير الفلسطينية " فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني ، بيروت ١٩٧٢م ، ص ٦-٧ .

دولتنا اقتصاديا واجتماعيا بمجرد التوسع في التربية فحسب ، بل في اعتماد نوع معين من التربية في هذا العصر ، ممثل في :

١. اعتماد التربية الوطنية كمرتكز تربوي أساسي في فلسطين :

ونعنى بالتربية الوطنية التربية التي تعزز الوحدة الوطنية ، وتغرس في الجيل الجديد حب الوطن والتضحية في سبيله ، والعمل على وحدة أبنائه كافة . ولنا من التجربة الأميركية مثلا حيا على ذلك . فلقد استطاعت التربية الأمريكية مثلا أن تخلق أجيالا من الأمريكيين الذين أتوا من مختلف بلدان العالم ومن مختلف الطوائف الدينية ومن مختلف القوميات والأجناس إلى العالم الجديد ، أمة واحدة (٥٢ ولاية) مما جعلها أقوى دولة في العالم اقتصاديا وعسكريا وعلميا وتكنولوجيا وتربويا ... إلخ ، ويعود الفضل للمدارس والجامعات الأمريكية التي استطاعت بفضل التربية الوطنية الأمريكية أن تصهر مختلف فئات الشعب الأميركي في بوتقة واحدة [٣٢] .

٢. اعتماد فلسفة تربوية جديدة :

إن التربية التي تخدم المعركة بشكل فعال هي التربية الوطنية التي تعتمد أولا على فلسفة وأهداف ومبادئ وقيم تربوية نابعة من قلب المجتمع الفلسطيني سليمة وصحيحة ، كما تهدف فلسفة التربية والتعليم المرغوب فيها إلى خلق الإنسان الفلسطيني قوميا واجتماعيا ؛ ليأخذ بيد مجتمعه نحو التقدم والازدهار وأن يتغلب على تحديات التخلف ، وأن يصمد ضد قوى العدوان ويحاول التغلب عليها . وأن يتجه في تفكيره وفي أعماله نحو الوحدة الوطنية الشاملة ، وأن يأخذ بأساليب العلم والتكنولوجيا في مجالات الحياة المختلفة ، وأن يربط التنمية بالتربية والتعليم ، وأن يتجه نحو الإدارة العلمية سواء في الحكم أو في مجالات الحياة .

---

(٣٢) إلياس زين ـ مرجع سابق ، ص١٦٤ ـ١٦٥ .

كما تهدف إلى تنمية الجرأة والشجاعة والمعرفة والحكمة والتسامح والمحبة والصبر وتنمية الإيمان بالقيم الإنسانية والعربية ، والتوجه نحو دحض البغضاء والاستبداد والتفكك والتشكك وعدم الثقة .

وكذلك تسعى التربية الجديدة إلى التعبير بجرأة وشجاعة عن أمل الشعوب العربية وقوتها كأمة لها ماضيها العريق وسيكون لها مستقبلها المرموق في العالم الحديث[٣٣] .

ومن هنا يجب اعتماد فلسفة تربوية فلسطينية في ضوئها تتحدد سياسات التعليم ومن خلالها تتجسد هوية الفرد والمجتمع [٣٤] .

٣. اعتماد مفاهيم ومبادئ تربوية وطنية :

ولابد أيضا من اعتماد مفاهيم ومبادئ وأهداف تربوية وتعليمية صحيحة وعملية تستطيع أن تخدم المجتمع والمعركة ، لقد تغير مفهوم المنهج فأصبح يشمل كل خبرة تقع تحت إشراف المدرسة وتوجيهها " سواء كانت منهجية أو غير منهجية" فأصبح يركز على كل جوانب شخصية التلميذ وكل جوانب الخبرة ؛ لأنه لا يوضع لكي يراعي أهداف مرحلة تعليمية معينة فحسب ، ولكن ليراعي أهداف التعليم العام ، وبالتالي أهداف المجتمع[٣٥] .

وعليه فمضمون التعليم قد اتسع وأصبح يشمل التربية بأوسع معانيها ، وغدت مهمة التعليم تتجه إلى صنع المواطن ، وإعادة صنع المجتمع ، ودفعه إلى طريق التقدم ، وقد جرى هذا التحول من بعدين أساسيين :

---

(٣٣) قسم التخطيط التربوي ـ فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني ، ١٩٧٢ ، ص١٨_٢٢ .

(٣٤) د/ أبو دف محمود ـ مرجع سابق ، ص٢ .

(٣٥) د/ الفرا فاروق ـ المنهاج التربوي المعاصر والتحديات ص١١ .

١. التحول عن حشو ذاكرة التلميذ بالمعلومات والمعارف إلى تنمية قدرة الطالب بالمعلومات والمعارف على التفكير الموضوعي والعلمي إلى حد الإبداع والابتكار .

٣. التحول الذي جرى من مجرد النقل الثقافي وحتى التكيف مع الحاضر ومواجهة قضاياه إلى صنع المستقبل وما يليه من تكوين إنسان جديد قادر على تطوير الحياة والسير بنفسه ومجتمعه على طريق " التطور والتقدم "[٣٦] .

بالإضافة إلى ذلك فعلى التربية أن تركز على القيم التي أخذت تظهر وتنتشر في العالم : قيم الديمقراطية وتكافؤ الفرص والقضاء على التمييز الطبقي والطائفي ، والقيم الثقافية الإنسانية الجديدة التي تنطلق من ضرورة الاعتزاز القومي والرغبة في الالتحاق بركب التقدم الدولي ، ومواجهة هوة التخلف التي تقوم حاليا بين المجتمعات المتقدمة والصناعية وبين المجتمع العربي ، وقيم التحرر من الاستعمار والإمبريالية والصهيونية العالمية [٣٧] .

٤. اعتماد التخطيط التربوي :

التخطيط التربوي هو التنبؤ بسير المستقبل في التربية والسيطرة عليه ؛ من أجل الوصول إلى تنمية تربوية متوازنة ، وإلى تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد البشرية والمادية المتاحة ، والربط في النهاية بين التنمية التربوية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة .

فالتخطيط التربوي ـ كأي تخطيط ـ يريد أن يقبض على زمام التطور الذي يجري في المستقبل ، فيطرح قضايا السنوات المقبلة ، ويتنبأ بها ؛ ليستطيع بالتالي أن يقدم لها الحلول اللازمة وليعد ما ينبغي لمواجهتها . والتخطيط التربوي لا يكتفي

---

(٣٦) جماعة من العلماء ـ فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي يتجدد ، بيروت ـ دائرة التربية في الجامعة الأمريكية (١٩٥٦م) ، ص١٧-١٨ .

(٣٧) عبد الله عبد الدايم- التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها، دار العلم للملايين، ١٩٧٤م ، ص٦١.

بالتنبؤ بما سيقع في المستقبل بل يريد أن يتحكم به ، ويتدخل في سيره كالزيادة في عدد الطلاب مثلا . ومعنى هذا أن التخطيط التربوي ـ كأي تخطيط ـ يسعى أن يتحكم في مستقبل التربية تحكما عمليا مدروسا بدلا من أن يترك الأمر للزمن ، فالتخطيط هو أولا وأخيرا صنع المستقبل وبنائه ، وكذلك يهدف التخطيط التربوي إلى الربط بين التنمية التربوية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ؛ فالتنمية التربوية هي الأداة الرئيسية لأي تنمية اقتصادية واجتماعية ؛ لأنه لا سبيل إلى تحقيق تنمية اقتصادية أو اجتماعية في بلد من البلدان بغير تنمية الثروة البشرية ورأس المال البشري فيها " [٣٨] .

وهذا ما أكده "السير دافيد أكليس وزير المالية البريطاني في آذار من عام ١٩٦١م معبرا عن نتائج إهمال التربية في بريطانيا لحاجات التقدم العلمي السريع في عصرنا ، وعن آثار ذلك على التنمية الاقتصادية قائلا : "ليس نقص المال هو الذي يحد من النمو الاقتصادي لبريطانيا ؛ لأن ما نشكو منه اليوم هو التربية الناقصة التي كان يتلقاها ٩٠٪ من أطفالنا قبل الحرب العالمية الأخيرة ، إن إهمالنا الشامل للعلم جعلنا نهمل التكوين التقني ؛ ولهذا نجد شعبنا كله من الكناس حتى رئيس مجلس الوزراء قد أعدوا إعدادا فاضحا غير متلائم مع مهام العالم المقبل ، ينبغي أن يداخل الصناعة والتجارة إيمان عميق بالتربية ، وإرادة عنيدة من أجل تحسين التكوين المهني ، وليس لنا أمل غير هذا إذا أردنا أن نحتفظ بمكاننا في العالم "[٣٩] .

لهذا بغير تربية الأفراد في مجتمعنا الفلسطيني وتعليمهم وتأهيلهم للمشروعات المختلفة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وسواهما لا يمكن أن نأخذ مكاننا في النظام العالمي الجديد بدون أن تأخذ التربية دورها في مجتمعنا الفلسطيني كقوة تنسيقية هامة وأداة تغير للمجتمع الفلسطيني ولتهيئة الأجيال لقبول العصر[٤٠] .

---

(٣٨) المصدر السابق نفسه ، ص٦١ .

(٣٩) عبد الله عبد الدايم ـ التخطيط التربوي ـ دار العلم للملايين – ١٩٨٠م ، ص٢٨ .

(٤٠) د. رياض الأغا ـ التربية واحتمالات التبدل الاجتماعي في المجتمع الفلسطيني المعاصر ـ ورقة

٥. ربط التعليم بالمجتمع :

يجب ربط التعليم بالمجتمع وبمتطلبات سوق العمل والتنمية وبحاجات التلاميذ وميولهم ، فهذا الاتصال يضفي على التعليم صفة الوظيفية ، ويجعل منه أداة للإصلاح الاجتماعي وللتقدم الاقتصادي ، وبالتالي لتطوير المجتمع وإنمائه [٤١] .

٦. محتوى المناهج :

إن صورة الإنسان الذي نريد أن نعده نستطيع أن نجدها في المناهج التعليمية والتربوية ، فإذا أردنا أن تخدم المناهج قضية التربية الوطنية ، فعليها أن تقدم للتلاميذ المفاهيم والمهارات والأدوات اللازمة للصمود ضد التحديات والأزمات ومن أجل التغلب عليها ، كما يجب أن تعكس قيما وطنية وقومية وتقدمية ،وكذلك عليها أن تنمى الروح النضالية لدى الجيل الجديد مثل الصدق والإخلاص والمواظبة والشجاعة والحزم والتواضع والكتمان ومقاومة الانتهازية والوصولية والنفاق والكذب[٤٢] .

٧. ربط التربية بالدفاع :

والتربية التي تخدم هي التي ترتبط بشكل مباشر بحاجات الدفاع الوطني ، فالمعركة كما ذكرنا تتطلب رجالا متعلمين ومثقفين يتحلون بمهارات فنية وعلمية .

ونذكر هنا على سبيل المثال تجربة الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفيتي الأول " سيوتنك " عام ١٩٥٧م ولقد حذت بلدان أوروبية حذو الولايات المتحدة كبريطانيا وفرنسا والبلدان الاسكندنافية [٤٣] .

مقدمة إلى المؤتمر الثاني للدراسات الفلسطينية ، ديسمبر ١٩٩٦م ، غزة .

(٤١) سعد نبهان ـ نحو نظرية تربوية لبناء منهج فلسطيني ، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية ، كانون أول ١٩٩٦م .

(٤٢) قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط ، (م.ت.ف) فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص٧٥٦ .

(٤٣) Education in America (Book let) 170 with out date p.19 .

٨. تشجيع الموهوبين والمتفوقين :

والتربية التي تخدم المعركة وتحقق الاكتفاء الذاتي في المجتمع الفلسطيني هي التربية التي ترعى التلاميذ الأذكياء والموهوبين والمتفوقين ، وتساعدهم على تنمية نواحي الإبداع ، وتقدم لهم المساعدات والمنح ، فضلا على التوجيه التربوي والنفسي .

هذا ما تفعله الولايات المتحدة مثلا ، وخاصة في أعقاب إطلاق أول قمر سوفيتي إلى الفضاء عام ١٩٥٧م .

وجاء في التوصية التاسعة من الدراسة الطويلة التي قام بها المربي الأمريكي المشهور" جيمس ب كونت " الرئيس السابق لجامعة هرفرد أن ثمة برامج خاص يجب أن تنظم للطلاب الموهوبين أكاديميا في المدارس الثانوية الأمريكية ، ولقد اقترح برنامجا ـ خاصة للذكور والإناث ـ في المدارس الثانوية يشمل رياضيات أربع سنوات ، لغة أجنبية أربع سنوات ، علوم ثلاث سنوات ، بالإضافة إلى أربع سنوات من اللغة الإنجليزية ، وثلاث سنوات من العلوم الاجتماعية ، ومجموعة من ثمانية عشر درسا من الواجبات البيئية في كل أسبوع ، وهناك منح تعطى للطلاب الموهوبين بعد اجتياز امتحانات مقننة على الصعيد الوطني [٤٤] .

وهذا يقودنا إلى الحديث عن طرح تربية وطنية فلسطينية تتبناها وزارة التربية والتعليم ؛ لبناء جيل جديد يستطيع أن يواجه التحدي الصهيوني الذي لازال يغتصب أجزاء من أرض فلسطين الحبيبة .

٩. تعزيز وتوسيع النظام التربوي الفلسطيني :

من المفروض أن يختلف نظام التربية الوطنية في فلسطين عن النظم التربوية التقليدية شكلا ومضمونا ، من خلال تركيزنا على الآتي :

---

(٤٤) James B. Connate , the American High school today cosines Books 1964 , P 62-67 .

أ. العمل على ربط الشباب بالوطن بناء على أمور ملموسة وليس بناء على شعلات عاطفية فقط ، أي علي التربية الوطنية أن تبين لأولادنا بالأرقام والدلائل الحسية الفوائد التي سيجنونها من وراء التحرير ، وأهمها أن يكون الفلسطيني حرا وسيد نفسه وهذه أمور يفتقدها خارج وطنه ، فلا عزة ولا كرامة ولا استقلال اقتصادي وفكري ونفسي واجتماعي للفلسطيني إلا عن طريق بناء دولته المستقلة ـ فلسطين ـ واسترداد الأرض المغتصبة من فلسطين .

ب . التركيز الشديد على دراسة العدو وطبيعة صراعنا معه ، ومحاولة تفهم نقاط قوته وضعفه من أجل إيجاد أفضل السبل للقضاء عليه .

ج . دراسة تجارب الشعوب الأخرى التي مرت بظروف ومراحل مشابهة لظروفنا .

د. التركيز على تأهيل المعلم الفلسطيني الوطني الذي لا يعمل كمدرس فقط ، وإنما كأداة تغيير ، ويتم ذلك من خلال دورات تدريب وتثقيف وحلقات دراسية تعطى للمعلمين الفلسطينيين ، ويكون هدفها الأساسي خلق حركة فكرية تربوية وطنية في أوساط المعلمين ، وما تلبث هذه الحركة أن تتحول إلى نمط عمل وممارسة وأداة تحريك وتوجيه للآخرين داخل المدارس والجامعات وخارجها .

هـ. وضع منهج تربوي وطني متكامل يأخذ بعين الاعتبار الأساليب الحديثة في التربية والتعليم ،فبدون هذا المنهج المدروس لا يمكن أن نحقق هدفنا الوطني في بناء الأجيال الثائرة والمناضلة والبانية .

١٠. التركيز على بناء المعلم ونحن على أبواب إعلان الدولة الفلسطينية على البعد المعلوماتي وتكنولوجيا التعليم .

وما هذا الطرح إلا تصور شخصي مثالي من الباحث لما يجب أن يكون عليه التعليم الفلسطيني في ظل سلطتنا الوطنية ، وهو تصور أولي وهناك مجال واسع لتعميقه وتعديله وتفصيله ،ولكنه يشكل أرضية ملائمة للنقاش حول كيفية الوصول إلى خلق

تربية وطنية ،وحول مضمون هذه التربية وتطبيقها مع وضع خطوات التنفيذ على أرض الواقع.

النتائج والتوصيات :

من كل ما تقدم من حقائق ومعلومات وأفكار توصل الباحث إلى نتائج عديدة يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي :

١. لقد توافرت دواعي عديدة تؤكد على حاجة التعليم الفلسطيني الماسة إلى تربية وطنية تجسد هويته الثقافية وكيانه المستقل .

٢. التربية الوطنية قوة إيجابية فعالة إذا أحسن تعبئتها من حيث الكم والكيف ، وذلك في إحداث تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية ودفاعية في فلسطين تلبي متطلبات المجتمع وحاجاته .

٣. التربية الوطنية تعكس البعد الفلسطيني والعربي والإسلامي بطريقة متكاملة من خلال تسليح الفرد بالعلم والمعرفة والثقافة وبالقدرة على النضال ؛ من أجل مواجهة التحديات ومغالبة الصعاب والتغلب عليها .

٤. ما لم تعكس تربيتنا الفلسطينية طبيعة الصراع مع اليهود فستبقى جسدا بلا روح وعملا بلا هدف .

٥. تلجأ الشعوب إلى التربية عندما تعصف بها الأزمات وتحل بها الهزائم والكوارث؛ لأن التربية هي السبيل إلى مواجهة كل ذلك ، وإلى القوة والنصر .

ثانيا التوصيات :

يوصى الباحث بما يلي :

١. من الضروري إجراء إصلاح شامل وجذري للتعليم الفلسطيني بجميع أنواعه وبمختلف مراحله ، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال تبني تربية وطنية واضحة المعالم محدودة الهوية .

٢. العمل على إنشاء مراكز للبحوث والإنماء من أجل إعداد الأطر التربوية مع تحديث التربية ، وذلك بتطوير المناهج والامتحانات والأساليب التربوية وطرائقها .

٣. الدعوة إلى مؤتمر موسع يعالج موضوع التربية الوطنية من الباحثين المتميزين في العلوم التربوية في فلسطين ، ومن خلال نتائج هذا المؤتمر يمكن أن تحدد المعالم الأولية لتربية وطنية فلسطينية .

٤. بناء مناهج تعليمية فلسطينية تنطلق من خلال تربية وطنية واضحة المعالم .

٥. يجب إعداد المربين وتدريبهم ؛ كي يتمكنوا من أن يصبحوا قوة محركة إيجابية للتجديد والتطوير والإنماء .

٦. يوصي الباحث بتأمين إدارة مرنة ومستقلة استقلالا إداريا وماليا ؛ لإنجاح أية خطة تربوية وتنفيذها .

* فهارس البحث :

١- د/ إحسان الأغا ـ وآخرون ـ نحو منظومة قيم للتربية الفلسطينية ، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الثاني للدراسات الفلسطينية ١٩٩٦م ـ ١٩٩٧م ، كلية التربية ـ الجامعة الإسلامية بغزة .

٢- باسم سرحان ـ التربية الثورية الفلسطينية ـ شؤون فلسطينية ـ دراسات وأبحاث عدد ٢٥ أيلول سبتمبر ١٩٧٣م .

٣- جماعة من العلماء ـ فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي يتجدد ـ بيروت ـ دائرة الجامعة الأمريكية ١٩٥٦م .

٤- دليل كلية التربية الحكومية لعام ١٩٩٨م .

٥- د/ رياض الأغا ـ التربية واحتمالات التبدل الاجتماعي في المجتمع الفلسطيني المعاصر ـ نظرة مستقبلية ـ ورقة مقدمة للمؤتمر الثاني للدراسات الفلسطينية مايو ١٩٩٦م .

٦- د/ زين الياس ـ التربية والمعركة ـ شؤون فلسطينية عدد ٥٥ ـ مارس ١٩٩٦م.

٧- سعد نبهان ـ نحو نظرة تربوية لبناء منهج فلسطيني ـ ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الثاني للدراسات الفلسطينية مايو ١٩٩٦م .

٨- صالح عبد الله أبو سرية ـ تعليم العرب في إسرائيل ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٧٣م .

٩- د/ صلاح الدين حماد ـ المعوقات التي تحول بين الجامعات الفلسطينية وتربية شباب فلسطين ـ ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الأول بكلية التربية الحكومية بغزة ١٩٩٧م ـ ١٩٩٨م .

١٠- عبد القادر يوسف ـ تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا دائرة التربية والتعليم ، منظمة التحرير الفلسطينية ، الجليل للنشر عمان ١٩٨٩م .

١١- عبد الله عبد الدايم ـ التربية في البلاد العربية ومشكلاتها ومستقبلها ـ دار العلم للملايين ١٩٧٤م .

١٢- عبد الله عبد الدايم ـ التخطيط التربوي ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٨٠م .

١٣- عمر محمد الشيباني ـ مقدمة في الفكر التربوي الحديث ـ دار الكتب الوطنية طرابلس ـ ١٩٩١م .

١٤- د/ فاروق حمدي الفرا (آلية مقترحة لتغيير المنهاج الفلسطيني ومحاولة علاج اغترابه) وقائع اليوم الدراسي المنعقد بكلية التربية جامعة الأزهر بغزة يونيو ١٩٩٥م.

١٥- د/ فاروق الفرا وآخرون ـ المنهاج التربوي المعاصر ، ط أولى ، ١٩٩٥م .

١٦- د/ فؤاد العاجز ـ الميسر في التربية المقارنة ، ط ثانية ، ١٩٩٨م .

١٧- د/ فتحية نصرو ـ ملامح أولية لفلسفة التربية الفلسطينية في ضوء نصوص وثيقة الاستقلال لدولة فلسطين المعلنة في الجزائر ١٥/١١/١٩٨٨م ـ وقائع المؤتمر الأول للتعليم الفلسطيني ـ جامعة بيت لحم ، تشرين الأول ١٩٩١م .

١٨- د/ كمال كامل النمر ـ مأساة التربية في فلسطين ـ المجتمع للنشر ـ ١٩٩٣م.

١٩- لينا حمادة وآخرون ـ تحديات وخيارات المرأة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ـ برنامج الأمم المتحدة ، بدون تاريخ الطبع .

٢٠- د/ محمود أبو دف ـ نحو فلسفة تربوية فلسطينية ـ ورقة مقدمة للمؤتمر التربوي الأول بكلية التربية الحكومية بغزة ، ١٩٩٧م .

٢١- د/ منذر صلاح ـ مقومات البيئة التعليمية لدولة فلسطين ـ مجلة شؤون عربية ـ الأول من ديسمبر ١٩٨٩م .

٢٢- موسوعة فلسطينية ،القسم الأول ، ٤مجلدات،مركز الدراسات الفلسطينية،دمشق ، ١٩٨٤م.

٢٣- مركز التخطيط التربوي فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني ـ بيروت ١٩٧٢م، منظمة التحرير الفلسطينية .

٢٤- د/ نعيم خضر ـ القدرات البشرية والاقتصادية للشعب الفلسطينية صامد الاقتصادية ـ م ـ شهرية العدد ٣٠ تموز ١٩٨١م .

٢٥- د/نعيم بارود -جغرافية فلسطين- الجامعة الإسلامية ط أولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٢٦- وزارة التربية والتعليم ـ قانون التربية والتعليم رقم ١٠ لسنة ١٩٦٤م .

٢٧- يحيى يخلف -دولة فلسطين ومقوماتها الثقافية- شؤون عربية ـ ديسمبر ١٩٨٩م .

٢٨- Education in America , James b. Connate the American High School to day .